مكتبة الطفل العربي
٣
القُرصان وَالبهلوان
مَجدي صابر
دار الجيل

القرصان والبهلوان

تأليف
مَجدي صَابر

دار الجيل
بيروت - القاهرة - تونس

تأليف : مَجدي صابر

هي مجموعة جديدة وشيقة من قصص الأطفال، كُتبتْ بأسلوبٍ أدبيٍّ ممتاز، يمتزجُ فيها الخيالُ مع الواقع . . والحلمُ مع الحقيقة، لتصنَعَ عالماً أخاذاً مُبهراً، يناسبُ عقلَ وسِنَّ قارِئها الصغيرِ، ويَفتح أمامَ عينيه أبواباً لا حصرَ لها من المعرفةِ والقِيَمِ التربويةِ والأخلاقِ النبيلةِ.

ونحن نفخرُ بأن تؤدي هذه المجْمُوعةُ القَصَصِيّةُ المَكْتوبةُ والمُخْتارةُ بعِنايَةٍ بالِغةٍ، الغَرضَ منها تماماً، وتُحاوِل أن تَسدَ بعض النّقصِ في مكتبةِ الطّفلِ العربيّ، دونَ أن تَسْتهينَ بِعقلهِ، أو تَتَخطى قِيَمه وعاداته.

ونَأملُ أن نَكونَ قد حَقَّقْنا الهَدَفَ الّذِي نَرْجُوه من إصْدارِنا لهذه المَكتبةِ، وأن تَحْتلَ قِصَصُها مكانها اللائق في مكتبةِ كلّ طفلٍ عربيّ.

القُرصَان وَالبهلوان

عاشَ سُكّانُ «قَرْيةِ الطَّيِّبينَ» زَمَناً طَويلاً فِي دَعَةٍ وسَلامٍ ورَغْدٍ ونَعيمٍ.

وكانَتْ «قَرْيَةُ الطَّيِّبينَ» كَما يَدُلُّ ٱسْمُها، لا يَعيشُ فِيها إلّا النّاسُ الطَّيِّبُونَ المُسالِمُون. وكانَ مِنْهُم المُزارِعُ والصَّيادُ، والحَدَّادُ والحَطّابُ والنَّجارُ، ومِنْ كُلِّ أصْحابِ المِهَنِ والأَعْمالِ.. ولَكِنَّهُمْ كانُوا كأُسْرَةٍ واحِدَةٍ.. يَتَعاوَنُونَ فِي السَّراءِ والضرَّاءِ ويَعيشُون كأُخْوَةٍ مُتَحابِّين.

وَكانَتْ قَرْيَةُ الطَّيِّبينَ قَرْيةً بَعِيدةً بَعِيدةً.. يَحُدُّها مِن ثَلاثِ جِهاتٍ صَحْراءُ قاحِلَةٌ واسِعَةٌ مُتَرامِيةُ الأَطْرافِ كأَنَّها تَصِلُ إِلَى نِهايَةِ العَالَمِ.. ولَمْ يَحْدُثْ أَنْ خَطا غَرِيبٌ إِلَى القَرْيَةِ عابِراً تِلْكَ الصَّحْراءَ الوَاسِعَةَ الَّتِي لا يَعْرِفُ أَحَدٌ أَيْنَ تَصِلُ أَطْرافُها.

كـانَتِ الصَّحْـراءُ تَمْتَـدُّ مِنَ الخَلْفِ واليَمينِ واليَسـارِ، أمَّـا مِنَ الأَمامِ فَكانَ يَحُدُّ القَرْيـةَ بَحْرٌ واسِـعٌ هائِـلٌ مُتلاطِمُ الجَنَبـاتِ لا نِهـايَةَ لامْتِـدَادِه. . وَلَمْ يَحْدُثْ مِنْ قَبْـلُ أَنْ عَبَرَ أَحَـدٌ مِنْ سُكانِ القَـرْيةِ البَحْـرَ لِيَتَعَرَّفَ أيْنَ يَسْتَقِـرُّ شاطِئُـهُ الآخَـرُ، ولا جـاءَ إِلَى القَرْيةِ غَرِيبٌ راكِباً سَفِينَةً أو زَوْرَقاً.

وذَاتَ يَـوْمٍ حَـدَثَ أَمْـرٌ عَجِيبٌ. . فَقَـدْ ظَهَـرَتْ فِي أُفُـقِ جِهَةِ البَحْرِ نُقْطَةٌ صَغِيرةٌ راحَتْ تَكْبُـرُ وتَكبرُ بِسُـرْعَةٍ. . ووَضُحَتْ مَعالِمُها بَعْدَ قَلِيلٍ ، فـإذا هِيَ سَفِينَةٌ صَغِيـرَةٌ يَعْلُوها شِـرَاعٌ كَبِيرٌ، تَتَراقَصُ فَوْقَهُ بِفِعْلِ الرِّياحِ رايَةٌ سَوْدَاءُ قَدْ رُسِمَتْ فَوْقَها جُمْجُمةُ إنْسانٍ وعَظْمَتانِ مُتَقاطِعَتان.

وَلَمْ يَكُنْ أَهْـلُ القَرْيـةِ المُسالِمُـونَ قَدْ شـاهَدُوا مِثْـلَ تِلْكَ الـرَّايَـةِ مِنْ قَبْـلُ، وَلاَ عَـرِفُـوا أَيَّ خَـطَرٍ يَكْمُنُ خَلْفَهـا. وكـانُـوا يَجْهَلُونَ تَمـامَ الجَهْـلِ أنَّ تِلْكَ الـرَّايـةَ المُخِيفَـةَ هِيَ رَايَـةُ القَـراصِنَةِ، الَّـذِينَ يَجُوبُـونَ البِحـارَ بِسُفُنِهِمْ السَّـرِيعَـةِ الخَفِيفَـةِ فَيُهاجِمُونَ السُّفُنَ الآمِنةَ بِمَدافِعِهِم وسُيُوفِهِمْ، ويَسْتَوْلُـونَ عَلَى ما بِهَـا مِن بَضائِـعَ وَذَهَبٍ، ويَقْتُلُونَ رُكّـابَها ثُمّ يُغْـرِقُونَ سُفُنَهُم إلَى قاعِ البَحْرِ أوْ يُشْعِلُونَ فِيها النِّيران.

لَمْ يَعْـرِفْ سُكّانُ القَـرْيةِ تِلْكَ الحَقيقـةَ أَبداً، ولا شـاهَدُوا قُـرْصانـاً مِنْ قَبْلُ أَوْ سَمِعُـوا عَنْهُ، ولِـذَلِكَ عِنْـدَمـا ألقَتْ سَفينَـةُ القَراصِنَةِ مَـراسِيَها فَـوْقَ شاطِئِ القَـرْيةِ، هَـرَعَ سُكّانُهـا بِسَعادَةٍ يُرَحِّبُونَ بالضُّيُوفِ القَادِمينَ مِنَ البَحْرِ، ووَقَفُوا يَسْتَطْلِعُون السَّفِينةَ ورُكّابَها فِي فُضُولٍ.

أمّـا القَـراصِنَـةُ، فَمـا أنْ أَلْقَتْ سَفِينَتُهم مَـراسِيَهـا عَلَى الشّاطِئِ، حَتَّى ٱسْتَعَدُّوا بِسُيُوفِهِمْ ورِماحِهِمْ وبُلَطِهِمْ. فَقَـدْ نَوَوْا كَشَأْنِهِمْ دَائِماً، أنْ يَقْتلُوا ويَذْبحُوا لِيَسْتَوْلُوا عَلَى كُلِّ ما تَصِلُ إِلَيهِ أَيْدِيهِمْ، بِدُونِ أنْ تُراوِدَهُمْ أدْنَى شَفَقَةٍ بِمَنْ أَمـامَهُمْ، سَواءٌ كـانَ طِفْـلاً رَضِيعاً أم ٱمْـرأةً لا حِيلَةَ لَهَا أم شَيْخـاً عاجِـزاً طـاعِنـاً فِي السِّنِّ.

وَكـادَ القَراصِنَـةُ يَنْدَفِعُـونَ فِي وَحْشِيَّةٍ حـامِلِينَ أَسْلِحَتَهُمْ، وهُمْ يُزَمْجِرُونَ بِصَـوْتٍ مُخِيفٍ كَما تَفْعَـلُ الوُحُـوشُ المُفْتَرِسَـةُ، ولَكِنَّ إشارَةً مِنْ زَعيمِهِمْ أَوْقَفَتْهُم فِي الحَال.

وَكانَ زَعِيمُ القَراصِنَةِ يُدْعَى القُـرْصانُ «سَعْـدان». . وَكانَ مَشْهُوراً بِالقَسْوَةِ اللامُتَنَاهِيَةِ والطَّابِـعِ الدَمَـوِيِّ، ولَمْ تَكُنْ تَأْخُـذُهُ

شَفَقَـةُ بِإنْسـانٍ أوْ حَيَوانٍ . . أَمَّـا هَيْئَتُهُ فَكَـانَتْ عَجِيبَةً مُخِيفَـةً فِي نَفْسِ الـوَقْتِ. . إذْ لَـهُ عَيْنٌ واحِـدَةٌ سَلِيمـةٌ هِيَ العَيْنُ اليُمْنَى وَكانَتْ واسِعَةً مُخيفَةً لا يَقْدِرُ إنْسانٌ أن يُحَدِّقَ فِيها طَوِيـلاً. . أَمَّا عَيْنُـهُ اليُسْرَى فَقَـدْ فَقَدَهـا فِي إحْدَى المَعـارِكِ، فَوَضَـعَ مَكانَهـا عِصابَةً رَبَطَها بِـرَأْسِهِ الصَّلْعَـاءِ الضَّخمَةِ الَّتي تُشْبِـهُ حَجَراً كَبيـراً مُسْتَدِيراً. وكانَتْ مَلامِـحُ القُرْصانِ قاسِيةً عَنيفَةً، فَحاجِباهُ كَثيفانِ مُمْتَـدّانِ مِنَ الأَمامِ والجـانِبَيْنِ. . وكانَ أَنْفُـهُ غَليـظاً ضَخْمـاً. . وَفَمُهُ واسِعاً شَدِيدَ القَسْوَةِ. . ورُغْمَ قِصَرِهِ كـان ضَخْمَ الحَجْمِ، كَبِيـرَ الجُثَّـةِ كـأَنَّـهُ غُـورِيلّلا. . يُغَـطِّي الشَّعْـرُ صَـدْرَهُ وذِراعَيْـهِ الضَّخْمَيْنِ. . وكـانَ يَرْتَـدِي سُتْرَةً بِـلاَ أكْمامٍ، وبَنْـطلُونـاً ضَيّقـاً وحِذاءً مِنْ جِلْدِ النَّمْرِ، ويُغَطِّي رَأْسَهُ بِقُبَّعةٍ كَما يَتَـدلَّى مِن حِزامٍ فِي وَسَـطِهِ سَيْفٌ طَـوِيـلٌ رَهِيبُ المَنْـظَرِ، وعَـدَدٌ مِنَ الخَنـاجِـرِ والسَّكاكِينِ.

ولَمْ يَكُنْ بَقِيَّةُ القَراصِنَةِ أَقَلَّ بَشاعَةً أوْ شُذُوذاً مِنْ زعيمِهِمْ، فَكـانُوا خَلِيـطاً مِنْ أَشْكالٍ مُتَنـافِرَةٍ قَـاسِيةٍ: فَمِنْهُمْ مَنْ كـانَتْ لَهُ عَيْنٌ واحِدَةٌ مَفْقُوءَةٌ ولا يَسْتُرها شَيْءٌ. . ومِنْهُمْ مَنْ كَانَتْ لَهُ ذِراعٌ واحِدَةٌ أو ساقٌ وَحِيدَةٌ. . ومِنْهُمْ مَنْ يَرْتَدي المَلابِسَ الفـاخِرَةَ أوْ

الأَسْمَالَ البالِيَةَ، ومِنْهُمْ من كانَ طَوِيلاً أوْ قَصِيراً. . سَمِيناً مُكْتَنِزاً أوْ نَحِيفاً يابِساً. . ومِنْهُمْ مَنْ كَانَ أَسْوَدَ الوَجْهِ أوْ أشْقَرَ لَوَّحَتْهُ الشَّمْسُ ومُلُوحَةُ البَحْرِ. . وكانَ عَدَدُهُمْ يَرْبُو عَلَى العِشْرِينَ قُرْصاناً.

تَساءَلَ أحَدُ مُساعِدِي القُرْصانِ «سَعْدان» وكانَ يُدْعَى «عَدْنان» وقالَ لِزَعيمِهِ: «ماذَا تَنْتَظِرُ أَيُّها الزَّعِيمُ القُرْصانُ. . دَعْنا نَقْتُلُهُمْ ونَسْتَوْلِي عَلَى مالِهِمْ وحُلِيِّهِمْ، فَنَحْنُ نَجُوبُ البَحْرَ مُنْذُ وَقْتٍ وَلَمْ نَغْنَمْ شَيْئاً».

ولَكِنَّ عَيْنَ القُرْصانِ السَّلِيمةَ لَمَعَتْ بِبَرِيقٍ خَبِيثٍ ماكِرٍ وقالَ بِصَوْتٍ غَلِيظٍ خَشِنٍ: «إنَّ لَدَيّ فِكْرةً أفْضلَ، لَقَدْ تَعِبْنا مِنَ الإبْحارِ ومُهاجَمَةِ السُّفُنِ والمَراكِبِ سَنَواتٍ طَوِيلَةٍ، فَدَعُونا نَسْتَرِحْ فِي هَذِهِ القَرْيةِ قَدْراً مِنَ الزَّمنِ».

تَبادَلَ القَراصِنَةُ النَّظَراتِ وتَفاهَمُوا فِيما بَيْنَهُمْ، وأَعَجَبَتْهُمْ خُطَّةُ الزَّعيمِ، فَأَخْفَوْا سُيُوفَهُمْ وبُلَطَهُمْ ورِماحَهُمْ، وتَقَدَّمُوا مِنْ سُكّانِ القَرْيَةِ وَهُمْ يَبْتَسِمُونَ ٱبْتِسامَةً زائِفَةً. فَأَسْرَعَ الأَهالِي البُسَطاءُ يَمُدُّونَ نَحْوَهُمْ أَيْدِيَهُمْ مُرَحِّبِينَ، وسُرْعانَ ما كانَ سُكَّانُ

القَـرْيةِ الكُـرَماءُ قَـدْ أعَدُّوا الـطَّعـامَ والشِّـواءَ لِضُيُـوفِهِمْ، ومَـدُّوا الأَبْسِطَةَ والمَوائِـدَ العامِـرَةَ بِكُلِّ أَصْنـافِ الطَّعـامِ والشَّرابِ وهُمْ مُبْتَهِجُونَ بِٱلضُّيُوفِ الَّذِينَ حَلُّوا عَلَيْهِمْ مِنَ البَحْر.

أَكَـلَ القَراصِنَـةُ وشَبِعُوا حَتَّى أُتخِمُـوا مِنَ الطَّعـامِ، وكانَ اللَّيْلُ قَدْ حَـلَّ، فَأَفْـرَدَ أَحَدُ سُكَّـانِ القَرْيـةِ (وهُوَ الحَـدَّادُ) مَنْزِلَـهُ لِمَبيتِ القَـراصِنَةِ ضُيُـوفاً عِنْـدَهُ، وكانَ مَنْـزِلَهُ مِنْ أَحْسَنِ مَنـازِلِ القَرْيةِ وأَفْخَمِها مَنْظراً وتأْثِيثاً.

وباتَ القُرْصانُ «سَعْدان» ومُساعِدُهُ «عَذْنان» وهُمـا يَضَعانِ الخُـطَطَ لِلاسْتِيـلاءِ عَلَى القَرْيـةِ بِمَا فِيهـا ومَنْ فِيها. وقـرروا أَنْ يَقْضُـوا بَقِيَّةَ عُمْـرِهِمْ بِٱلـطَّعـامِ والشَّـرابِ، يُسَخِّـرُونَ الأَهـالِي لِخِـدْمَتِهِمْ والـوُقُـوفِ عَلَى راحَتِهِمْ، أَمَّـا مَنْ يَعْتَـرِضُ أَوْ يُقـاوِمُ فَيَكُونُ مَصِيرُهُ المَوْتَ لِيُصْبحَ عِبْرَةً لِبَقيّةِ سُكَّانِ القَرْية.

وفِي الصَّباحِ عِنْدَما ٱسْتَيْقَظَ أَهْلُ القَـرْيَةِ، وتَهَيَّـأَ كُلٌّ مِنْهُمْ للذَّهَـابِ إِلَى عَملِهِ، غَيْـرُ دَارِينَ بِمـا يُحـاكُ خَلْفَ ظُهُـورِهِمْ، إِسْتَوْقَفَهم القُرْصانُ «سَعْدان» فِي مُنْتَصَفِ القَـرْيَةِ وحَـوْلَهُ رِجـالُهُ ذَوُو الهَيْئاتِ المُخِيفَةِ، وقَدْ حَمَلَ كُـلٌّ مِنْهُمْ سِلاَحَـهُ الرَّهِيبَ مِنْ

بُلَطٍ وخَناجِرَ وسُيُوف. وهَتَفَ القُرْصانُ «سَعْدان» فِي سُكَّانِ القَرْيَةِ مُنادِياً، فَأَقْبَلُوا مُتَجَمِّعينَ حَوْلَهُ، وَقَدْ ساوَرَهُمُ القَلَقُ والخَوْفُ لِأَوّلِ مَرَّةٍ، وهُمْ يُشاهِدُون الأَسْلِحَةَ المُخيفَةَ الرَّهِيبَةَ فِي أَيْدِي القَراصِنَةِ، مِمَّا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ عَهْدٌ بِهِ مِنْ قَبْل.

صاحَ القُرْصانُ «سَعْدان» بِصَوْتِهِ الغَليظِ الرَّهيبِ: «أَيُّها السُّكّانُ.. إِنّني أُعْلِنُ مُنْذُ هَذِهِ اللَّحْظَةِ أَنَّني وَرِجالِي قَد ٱسْتَوْلَيْنا عَلَى هَذِهِ القَرْيَةِ، فَصَارَ كُلُّ ما فِيها مِنْ مالٍ وذهبٍ ومَنْقولاتٍ ومَزْرُوعاتٍ وحَيَواناتٍ مِلْكاً خاصًّا لَنا لا يُشارِكُنا فِيهِ أَحَدٌ مِنْكُمْ.. أَمّا أَنْتُمْ فَقَدْ صِرْتُمْ مُنْذُ هَذِهِ اللَّحْظَةِ خَدَماً وعَبِيداً لَنا، تَقُومُونَ بِكُلِّ الأَعْمالِ، ونَحْصلُ نَحْنُ عَلَى نِتاجِها، أمّا مَنْ يَشْكُو أوْ يَتذمَّرُ فَلَيْسَ لَهُ عِنْدَنا إلاّ هَذا».

ورَفَعَ سَيْفَهُ المُخيفَ إِلَى أَعْلَى حَتَّى يَراهُ الجَميع.

شَهَقَ سُكّانُ القَرْيةِ الطَّيِّبينَ فِي ذُعْرٍ، وتَراجَعُوا إِلَى الوَراءِ فِي رُعْبٍ، إِذْ لَمْ يَتَصَوَّرُوا أَنْ يَنْقلِبَ جَميلُهُمْ ومَعْروفُهُمْ لِيُقابَلَ بِذَلِكَ الجُحُودِ والنُّكْرانِ.. وأَن يَسْتَوْلِيَ مُغْتَصِبٌ عَلَى أَرْضِهِمْ وبُيوتِهِمْ وأَمْلاكِهِم.

وٱعْتَرَضَ أحَدُ الشُّبانِ، فَقامَ القُـرْصانُ بِجَلْدِهِ، حَتَّى سَقَطَ فاقِدَ الوَعْي، دُونَ أنْ يَجْرُؤَ أَحَدٌ عَلَى مُساعَدَتِهِ.

إِرْتَعَـدَ سُكّانُ القَـرْيَةِ وأَخَـذَهُمْ الرُّعْبُ الشَّـدِيدُ، حَتَّى أنَّ أحَـدَهُمْ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى النُّـطقِ، وٱنْصَرَفُـوا مُسْتَسْلِمينَ لِمَصيرِهم الجَـديدِ مِن الـذُّلِّ والهَـوانِ، بِسَببِ الكـارِثَـةِ الَّتِي حَلَّتْ عَلَيْهِمْ بِدُونِ ٱنْتظارٍ.

* * *

وتَغَيَّـرتِ الأَحْوالُ عَمّـا كـانَتْ عَلَيْـهِ فِي القَـرْيَـةِ الهـادِئَـةِ الطَّيِّبةِ، فَقَدْ بَاتَ أَهْلُها يَعْمَلُونَ صَباحَ مَسـاءَ بِلَا راحَـةٍ، تَسُوقُهُمْ سِيـاطُ القَراصِنَـة. وفِي النِّهايَـةِ يَسْتَـوْلي الغَـاصِبُـونَ عَلَى نِتـاجِ أَرْضِهِمْ وأَعْمـالِهِمْ، ولا يُلقُـونَ إِلَيْهِمْ إلاّ بِـأَقَـلِّ القَلِيـلِ مِنَ الطَّعام . .

وهَـزُلَ سُكّـانُ القَـرْيَـةِ الـطَّيِّبينَ لِقِلَّةِ الـطَّعـامِ ، وشَحُبَتْ وُجُوهُهُمْ ومَرِضَ أَطْفالُهُمْ، وهَلِكَ شُيُوخهُمْ لِقِلَّةِ الرِّعايَةِ والعِنايَـةِ والـطَّعامِ وقَسْـوَةِ العَمَل . وتَهَرَّأتْ مَـلابِسهُمْ وَبَلِيَتْ، بِـدُونِ أنْ يَسْمَحَ لَهُم القَراصِنَةُ بِملابِسَ جَديدَةٍ مِمَّا يَنْسِجُها نَسَّاجُو القَرْيةِ، الَّتِي كانَ القَراصِنَةُ يَسْتَوْلُونَ عَلَيْها كُلِّها لأَنْفُسِهِمْ.

وٱسْتَوْلَى القَراصِنَةُ أَيْضاً عَلَى مَنازِلِ سُكّانِ القَرْيةِ، وأَلْقَوْا بأَهْلِهَا فِي العَراءِ، فَباتُوا تَحْتَ المَطَرِ والبَرْدِ فِي الشِّتاءِ القارِس .

ولَمْ يُحاوِلْ أحدٌ مِنْ سُكّانِ القَرْيَةِ المُقاوَمَةَ بَعْدَ أنْ جَلَدَ القَراصِنَةُ الشّابَّ الَّذِي طَالَبَهُمْ بِٱلرَّحِيلِ ، ولَمْ يَكُنْ لَدَى السُّكّانِ المُسالِمينَ مِنَ الأَسْلِحَةِ ما يُقاوِمُونَ بِهِ غاصِبيهِمْ، فٱسْتَسْلَمُوا لِقَدَرِهِمْ وَهُمْ يَدْعُونَ اللَّه أنْ يُنْقِذَهُم مِنْ ذَلِكَ البَلاءِ المُسْتَطِيرِ، وأنْ يُخَلِّصَهُمْ مِنَ الظُّلْمِ والجَبَرُوت.

أمّا القَراصِنَةُ فَأَعْجَبَتْهُمْ الحَياةُ فِي القَرْيَةِ الوادِعَةِ، فَطَغَوا وقَسَوْا عَلَى سُكّانِها، وتَمَتَّعُوا بِخَيْراتِها وطَعامِها وشَرابِها، حَتَّى أَصابَهُمُ الشَّرَهُ بِٱلْبَدانَةِ والتَرَهُّلِ ، وصارَ زَعِيمُ القَراصِنَةِ القُرْصانُ «سَعْدان» كالْفِيلِ لِضَخامَةِ حَجْمِهِ وكَثْرَةِ شَحْمِهِ ولَحْمِهِ.

* * *

وذاتَ يَوْمٍ كانَ أَحَدُ شُيُوخِ القَرْيَةِ يَجْلِسُ إِلَى شاطِئِها مُتَأَلِّماً حَزِيناً، يُفَكِّرُ فِيما آلَ إِلَيْهِ حالُهُمْ مِنْ مَهانَةٍ وبُؤْسٍ ، حَتَّى أَصْبَحُوا عَبِيداً فِي أَرْضِهِمْ ودِيارِهِمْ. . وٱمْتَلأَتْ عَيْناه بِالدُّمُوعِ وهُوَ لا يَدْرِي ما يَفْعَل.

وفَجْأَةً لَمَح شَيْئاً يَدفَعهُ المَوْجُ وتَسُوقُهُ الرِّياحُ نَحْوَ الشَّاطِئ، وهَبَّ الشَّيْخُ مُنْدَهِشاً وهُوَ يُحَدِّقُ فِي كُنهِ ذَلِكَ الشَّيْءِ الَّذي تَدْفَعهُ الأَمْواجُ قَريباً مِنْهُ.

وآسْتَقَرَّ فَوْقَ الشَّاطِئ عَلَى مَسافَةٍ قَلِيلَةٍ لَوحٌ خَشَبِيٌّ عَرِيضٌ، كانَ يَحْمِلُ فَوْقَهُ خَليطاً عَجيباً من المَخْلُوقات.. عَلَيْهِ فَتًى نَحيلٌ تَشُعُّ عَيْناهُ بِآلذَّكاءِ ولا يَسْتُرُهُ إلاَّ القَلِيلُ مِنَ المَلابِسِ المُمَزَّقَةِ، وكَلْبٌ صَغيرٌ قَدْ آرْتَدى قَميصاً حَوْلَ بَطْنِهِ، وقِردٌ كَبيرٌ غطَّى رَأْسَهُ بِقبَّعةٍ، ودُبَّةٌ ضَخْمةٌ وببغاءُ زاهِيَةُ اللَّوْنِ قَدْ رُبِطَ حَوْلَ رَقْبَتِها شَريطٌ عَلَى شَكْلِ فيُونْكة حَمراء.

قَفَزَ الفَتى النَّحِيلُ مِنْ فَوْقِ اللَّوْحِ الخَشَبِيّ وهَتَفَ بِسَعادَةٍ فِي رِفاقِهِ مِنَ الطُّيُورِ والحَيَوانات: «ها قَدْ وَصَلْنا إِلَى الشَّاطِئ أَخِيراً يا رِفاقُ فَحَمْداً لِلَّهِ».

وعِنْدَما شاهَدَ الفَتى الشَّيْخَ تَقَدَّمَ مِنْهُ بِسُرُورٍ قائِلاً: «مَرْحباً بِكَ أَيُّها الشَّيْخُ. لَقَدْ كُنّا نَعْبُرُ البَحْرَ فِي سَفِينَةٍ عِنْدَما غَرِقَتْ بِكُلِّ رُكَّابِها، ولَمْ يَنْجُ سِوايَ ورِفاقِي الأَرْبَعةِ بَعْدَ أَنْ تَشَبَّثْنا بِلَوْحٍ خَشَبِيٍّ ساقَتْهُ الأَمواجُ مِنَ السَّفِينةِ الغارِقَة».

سَـأَلَـهُ الشَّيْـخُ ذَاهِـلاً: «مَنْ أنتَ؟ ومِنْ أَيْنَ أَتَيْتَ بِهَـذِهِ الحَيَواناتِ والطُّيُور؟».

رَدَّ الفَتَى: «إنَّني بَهْلَوانٌ أُدْعَى «مَهْـران».. وهَؤُلاء أَفْـرادُ فِـرْقَتي وَهُمْ بِٱلتَّـرتيبِ: الكَلْبُ «مِيمي» والقِرْدُ «سِيسي» والـدُّبَـةُ «فِيفي» والبَبْغاءُ «كِيكي».. لَقَدْ كُنَّا نُقَدِّمُ عُروضَنا لِكَسْبِ عَيْشِنـا فَوْقَ السَّفينَةِ قَبْلَ أنْ تَغْرقَ.. تُـرَى إلَى أيِّ البِلادِ وَصَلْنـا، وفِي أيِّ ٱتِّجاهٍ ساقَتْنا الرِّياحُ ودَفَعَتْنا الأَمْواجُ؟».

صَاحَ الشَّيْخُ بِفَزَعٍ: «إبْتَعِدْ يـا بُنَيَّ مِن هُنا.. إبْتَعِـدْ وإلاَّ أصابَكَ ما أصابَنا».

دُهِشَ «مَهْران» البَهْلَوانُ عِنْدَما سَمِعَ كَلِماتِ الشَّيْخِ، أمَّـا الكَلْبُ الصَّغيرُ «مِيمي» فأَخَـذَ يَسِيرُ عَلَى قَـدَمَيْهِ الخَلْفِيَّتَيْنِ رافِعـاً يَدَيْهِ الأَمامِيَتَيْنِ فِي سُرُورٍ لِنَجاتِهِ ورِفاقِهِ، وراحَ القِرْدُ يَرْفَـعُ قُبَّعتَهُ ويُعيـدُهـا إلَى رَأْسِـهِ مَـرَّاتٍ عَـديـدَةٍ كـأَنَّـهُ يُحَيـيِّ أشْخـاصـاً حـاضِـرينَ.. عَلَى حِينَ أخَـذَتِ الـدُّبّـةُ «فيفي» تَتمـرَّغُ فَـوْقَ الشَّاطِئِ بِسَعادَةٍ مُتَقَلِّبَةً فَوْقَ الرِّمالِ كـالكُرَةِ.. وأَخَـذَتِ البَبْغاءُ

المُلَوَّنـةُ تُقَلِّدُ كَلِماتِ الشَّيْـخِ المُـرْتَعِش بِنَفْس نَبَـراتِ صَـوْتِـهِ وبِقَدْرٍ كَبيرٍ مِنَ المَهارَة.

تَأَمَّلَ الشَّيْخُ ذَلِكَ الخَليطَ العَجيبَ مِن المَخْلُوقاتِ، وتَمْتَمَ بِكَلِمـاتٍ لا مَعْنى لَها، وهَتَفَ فِي «مَهْـران»: «لَقَدْ نَصَحْتُـكَ يـا وَلَـدِي.. وأنْتَ حُرٌّ فِيمـا تَفْعَلُ.. والآنَ سَـأَنْصَرِفُ وإلَّا جَلَدَنِي رِجالُ القُرْصـانِ «سَعْدان» إنْ وَجَـدُوني فِي غَيْرِ مَكـانِ عَمَلي.. فَهُمْ لا يَرْحَمُونَ شابًّا ولا شَيْخاً».

وأَسْرَعَ مُبْتَعِداً وتَرَكَ «مَهران» فِي حَيْرَةٍ شَدِيدَةٍ ممّا قالَهُ.

إلْتَفَتَ «البَهْلَوانُ» إلَى رِفـاقِـهِ وقـالَ لَهُمْ: «إنَّنِي لَمْ أَفْهَمْ شَيْئاً مِمّا قالَهُ ذَلِكَ الشَّيْخُ يا رِفاقُ.. مـا رَأيُكُمْ فِي أنْ نَسْتَكْشِفَ الأُمُورَ بِأنْفُسِنا فِي هَذَا المَكان؟».

وسـارَ الجَميـعُ نَحْـوَ القَـرْيَـةِ.. «مَهْـران» البَهْلَوانُ فِي المُقدِّمةِ، وخَلْفَـهُ الكَلْبُ الصَّغِيرُ «مِيمي» وخَلْفَهُمـا القِرْدُ الكَبيـرُ «سِيسي» وخَلْفَ الجَمِيعِ الدُّبَّةُ الضَّخْمةُ «فِيفي» وفَـوْقَهُمْ البَبغاءُ الزَّاهِيَةُ «كِيكي».

وَفَجْـأَةً صـاحَتِ البَبْغـاءُ وهِيَ تَنْـظُرُ إِلَى بَعيـدٍ، وقـالَتْ: «غُرباءُ . . غُرباءُ . . ».

أَحَسَّ «مَهْـران» بِنَذِيـرِ الخَطَرِ والشَّـرِّ، فَٱلتَفَتَ إِلَى رِفـاقِـهِ وهَتَفَ فِيهِمْ: «إِخْتَبِئُـوا يـا رِفـاقُ، فَلَعَـلَّ حَـديثَ الشَّيْـخِ كـانَ صَحيحاً، وقَدْ نُصادِفُ خَطَراً فِي هَذَا المَكانِ».

أَسْرَعَ الكَلْبُ والقِرْدُ والدُّبّةُ يَخْتَبِئُونَ خَلْفَ أَقْرَبِ صَخْرَةٍ، أمّا البَبْغاءُ فَحَلَّقَتْ بَعِيداً كَيْ لا تَطُولَها أيْدِي القادِمينَ بِسُوءٍ.

إِقْتَـرَبَ ثَلاثَـةٌ مِنَ القَراصِنَـةِ يَحْمِلُونَ السَّكاكِينَ والخَنـاجِرَ والسُّيُـوفَ، ودُهِشَ «مَهْـران» البَهْلَوانُ مِن مَنْـظَرِهِم العَجِيـبِ المُخيفِ، فَقَـدْ كانَ أَحَـدُهُمْ بِعَينٍ زُجـاجِيَّـةٍ والثّـاني أكتَـحُ بِيَـدٍ صِناعِيةٍ والثّالِثُ أعْرَجُ بِساقٍ خَشَبِيّةٍ.

صـاحَ الأَعْوَرُ فِي «مَهْـران»: «مَنْ أنتَ أَيُّها الفَتَى، وكَيْفَ وَصَلْتَ إِلَى هَذَا المَكانِ؟».

رَدَّ «مَهْـران»: «إِنَّنِي فَتًى مِسْكينٌ غَـرِقَتْ سَفينَتُـهُ وأَلْقـاهُ المَوْجُ إِلَى الشَّاطِئِ هُنا».

قالَ الأَكْتَحُ لِرَفيقَيْهِ: «دَعُونا نأْخُذُهُ إِلَى زَعيمِنا القُرْصانِ حَتَّى يَبُتَّ فِي أَمْرِهِ».

وقالَ الأَعْرَجُ بِشكٍّ: «نَعَمْ نَعَمْ. فَرُبّما كانَ هَذا الفَتى كاذِباً، ولَعَلَّهُ مِنَ الأَعْداءِ».

وشَهَرَ الثَّلاثَةُ سُيُوفَهُمْ وسَكاكِينَهُمْ وخَناجِرَهُمْ وأَحاطُوا «بِمَهْرانَ»، واْقْتادُوه إِلَى زَعيمِهِم القُرْصانِ «سَعْدان»، وكانَ جالِساً يأْكُلُ بِنَهَمٍ شَديدٍ وأَمَامَهُ أَكْوامٌ مِنَ الفاكِهَةِ واللُّحُومِ وأَقْداحٌ مُتْرعةٌ مِنَ الشَّراب.

وعِنْدَما شاهَدَ القُرْصانُ «مَهْران» البَهْلَوانَ تَساءَلَ فِي دَهْشَةٍ: «مَنْ هَذا الفَتى؟».

رَدَّ القُرْصانُ الأَعْوَرُ ذُو العَيْنِ الزُّجاجِيّةِ: «إِنّهُ يَدّعي أَنَّ الأَمْواجَ أَلْقَتْهُ عَلَى شَاطِئِ القَرْيَةِ بَعْدَ غَرَقِ سَفِينَتِه».

حَدَّقَ القُرْصانُ «سَعْدان» فِي «مَهْران» بِعَيْنِهِ السَّلِيمَةِ المُخيفَةِ، وقالَ بِصَوْتِهِ الغَليظِ: «خُذْهُ إِلَى السِّجْنِ. وَفِي الصَّباحِ اْقْتلُوه أَمامَ سُكَّانِ القَرْيَةِ حَتَّى نُخيفَهُم».

فَرَكَ الأَكْتَحُ يَـدَهُ السَّليمةَ فِي يَـدِهِ الخَشَبِيَّةِ وقـالَ بِسُرُورٍ: «هَـذَا جَميـلٌ جِـدًّا، فَمُنْـذُ وَقْتٍ طَـوِيـلٍ لَمْ نَقْتُـلْ أَحَـداً، ولَمْ أَسْتَخْدِمْ ذِراعَيَّ فِي الضَّرْبِ والطَّعْنِ».

ولَمَعَتْ عَيْنُ الأَعْورِ الزُّجـاجِيّةُ وهُـوَ يَقُولُ: «سَيَكُـونُ هَذَا شَيْئاً مُمْتِعاً جِدًّا لِمَنْ يُشاهِدُهُ!».

وضَرَبَ الأَعْرَجُ الأَرْضَ بِساقِهِ الخَشَبِيّةِ وهُوَ يَقُولُ: «سَوْفَ أَرْقُصُ فِي الصَّباحِ عِنْدَ قَتْلِ هَذَا الفَتَى لِشِدَّةِ سُرُوري!».

واقْتـادَ الثّلاثَـةُ «مَهْران» البَهْلَوانَ إِلَى إِحْـدَى غُرَفِ مَنْـزِلِ الحَدَّادِ فَحَبَسُوهُ فِيها. وكانَتْ هَذِهِ الغُرْفَـةُ مَصْنُوعَـةً مِنَ الفُولاذِ، ولَيْسَ بِهـا مَنْفَـذٌ سِـوَى بَـابٍ يَقِفُ عَلَى حِـراسَتِهِ أَرْبَعَـةٌ مِنَ القَراصِنَةِ، ونافِذَةٍ ذاتِ قُضْبانٍ حَدِيـدِيَّةٍ عـالِيَةٍ يَسْتَحِيـلُ عَلَى أيِّ إِنْسانٍ تَحْطيمُها أو الهَرَبُ مِنْها.

شاهَدَتِ البَبْغـاءُ «كِيكي» كُلَّ مـا جَرَى لِصـاحِبِها البَهْلَوانِ «مَهْران»، فَطارَتْ ثُمّ عادَتْ ومَعَهَا الـدُّبّةُ «فِيفي» وهُمـا يَتَسلّلانِ نَحْوَ خَلْفيةِ المَنْزِلِ فِي سُكُونٍ.

أَطَلَّتِ الدُّبَّةُ مِنَ النَّافِذَةِ الحَديديَّةِ فَشاهَدَتْ صاحِبَها البَهْلَوانَ راقِداً فَوْقَ الأَرْضِ، وقَدْ وَضَعَ رَأْسَهُ بَيْنَ كَفَّيْهِ حُزْناً وأَلَماً. ومَدَّتِ الدُّبَّةُ يَدَيْها الضَّخْمَتَيْنِ بَعْدَ أن خَلَعَتْ قفازَها، وأَخَذَتْ تُحاوِلُ زَحْزَحَةَ قُضْبانِ النَّافِذةِ الحَدِيدِيّةِ، حَتَّى تَمَكَّنَتْ مِنْ خَلْعِها. وٱبْتَهَجَ البَهْلَوانُ عِنْدَما شَاهَدَ ما حَدَثَ، وقَفَزَ قَفْزَةً عالِيَةً نَحْوَ النَّافِذَةِ فَتعَلَّقَ بِها، وخَرَجَ مِنَ النَّاحِيةِ الأُخْرَى بِدُونِ أنْ يُلاحِظَهُ أَحَدُ مِن الحُرَّاس.

إنْضَمَّ «مَهْران» البَهْلَوانُ إِلَى بَقِيَّةِ رِفاقِهِ وقَالَ لَهُمْ: «لَقَدْ عَرَفْتُ يا أَصْدِقائِي أنَّ هَذِهِ القَرْيَةَ قَدِ ٱسْتَوْلى عَلَيْها بَعْضُ القَراصِنَةِ وأَذَلُّوا أَهْلَها، ومِنْ واجِبنا مُساعَدَتُهم وَلَوْ بِٱلتَّرْفِيهِ عَنْهُمْ وتَخْفِيفِ آلامِهِم، فَهَذا هُوَ عَمَلُنا الَّذِي نُحْسِنُهُ. فَما رَأْيُكُمْ؟».

وافَقَ الكَلْبُ والقِرْدُ والبَبْغاءُ والدُّبَّةُ، وقالَ «مَهْران»: «والآنَ دَعُونا نَنامُ.. وفِي الصَّباحِ نَقُومُ بِعَمَلِ ما ٱتَّفَقْنا عَلَيْهِ».

وتَمَدَّدَ الأَرْبَعَةُ فَوْقَ الشَّاطِئِ خَلْفَ صَخْرَةٍ كَبِيرَةٍ نائِمينَ، عَلَى حِينَ بَقيَتِ البَبْغاءُ «كِيكي» ساهِرَةً لِحِراسَتِهِمْ.

* * *

فِي الصَّباحِ إكْتَشَفَ القَراصِنَةُ هُرُوبَ «مَهْران» البَهْلَوانِ فأَصابَهُم الغَضَبُ الشَّدِيدُ، لأَنهُمْ كانُوا يُرِيدُونَ إمْتاعَ أَنْفُسِهِمْ بِقَتْلِهِ ورُؤْيَةِ دِمائِهِ وهِيَ تَسِيلُ، وكانَ أَشَدَّهُمْ غَضباً هُوَ القُرْصانُ «سَعْدان» الَّذِي صاحَ فِي رِجالِهِ صَيْحَةً مُرْعِبَةً: «إذْهَبُوا وٱبْحَثُوا عَنْ هَذا الفَتَى وٱئْتُونِي بِهِ فِي الحَال».

فٱنْطَلَقَ القَراصِنَةُ داخِلَ القَرْيَةِ يُفَتِّشُونَ ويَبْحَثُونَ ويُنَقِّبُونَ عَنِ البَهْلَوان.

أما «مَهْران»، فَما أَنِ ٱسْتَيْقَظَ فِي الصَّباحِ، حَتَّى شاهَدَ جُمُوعَ سُكَّانِ القَرْيَةِ مُتَّجِهينَ إلَى أَعْمالِهِمْ بِوُجُوهٍ يَسُودُها الوُجُومُ، ومَلامِحَ كَساها الذُّلُّ والهَزِيمَةُ والانْكِسارُ، فَصاحَ فِي رِفاقِهِ: «هَيَّا أيُّها الأَصْدِقاءُ، لِنُقَدِّمْ عُرُوضَنا وأَلْعابَنا إلَى هُؤُلاءِ المَساكِينِ لِنُخَفِّفَ قَلِيلاً مِمَّا يُعانُونَ».

وبَدَأَ مَهْران بِتَقْدِيمِ عُرُوضِهُ مَعَ فِرْقَتِهِ مِنَ الحَيَواناتِ والطَّيْرِ. فأَخَذَ يَسِيرُ فَوْقَ حَبْلٍ رَفِيعٍ مَدَّهُ بَيْنَ شَجَرَتَيْنِ عالِيَتَيْنِ بِمَهارَةٍ مُنْقَطِعَةِ النَّظِيرِ، أمّا الكَلْبُ «مِيمي» فَراحَ يَسِيرُ عَلَى قَدَمَيْهِ الخَلْفِيَّتَيْنِ رافِعاً يَدَيْهِ الأَمامِيَّتَيْنِ، وأَخَذَ القِرْدُ «سِيسي» يُقَدِّمُ

قَفَـزاتٍ ورَقَصاتٍ بَهْلَوانِيّـةً وهُـوَ يَتَشَقْلَبُ لِلْخَلْفِ والأَمـام ، أمّـا الدُّبَّةُ «فِيفي» فَقَدْ راحَتْ تَرْفَعُ يَدَيْهـا بِٱلسَّـلامِ لِلواقِفِينَ وتَضْرِبُ فَوْقَ طَبْلَةٍ صَغِيرَةٍ كَانَتْ تَحْتَفِظُ بِها حَـوْلَ عُنُقِها، وقَلَّدَتِ البَبْغـاءُ «كِيكي» غِناءَ البَحّارةِ فَوْقَ سُفُنِهِم.

كانَ عَدَدُ المُشـاهِدِينَ مِنْ أَهْـلِ القَرْيَـةِ كَبِيراً، ثُمَّ أخَـذُوا يَنْصَرِفُونَ واحِداً وَرَاءَ الآخَرِ بِدُونِ أنْ تَعْلُوَ بَسْمَةٌ فَـوْقَ وُجُوهِهِمْ، أو تَنْفَرِجَ مَلامِحُهُمْ بِٱبْتِسامَةٍ، حَتَّى ٱنْصَرَفُوا جَميعاً ولَمْ يَعُدْ أَحَدُ يُشاهِدُ البَهْلَوانَ وفِرْقَتَهُ.

تَـوَقَّفَ «مَهْران» مُتَعَجِّبـاً وقالَ لِـرِفاقِـهِ: «ماذَا حَـدَثَ أيُّهـا الزُّمَلاءُ. . يَبْدُو أَنَّ عُرُوضَنـا لَمْ تُعْجِبْ هَؤُلاءِ النَّاسَ، رُغْمَ أنّهـا كَـانَتْ تُضْحِكُ كُـلَّ مَنْ يَراهـا، فَما السَّبَبُ يـا تُـرَى؟» صـاحَتِ البَبْغاءُ «كِيكي»: «قُرْصانٌ. . قُرْصانٌ».

هَزَّ «مَهْران» رَأْسَهُ وقالَ: «إنّكِ عَلى حَقٍّ يا «كِيكي». . إنَّ هَؤُلاءِ المَساكِينَ لِكَثْرةِ ما عَانُوا مِنْ ظُلْمِ القَراصِنَةِ وقَسْوَتِهِمْ، لَمْ يَعُدْ يُضْحِكُهُمْ أيُّ شَيْءٍ، وهُوَ أمْرٌ مُؤْسِفٌ».

فَجْـأَةً صَرَخَ بَعْضُ القَـراصِنَـةِ مِنْ بَعيـدٍ عِنْـدَمـا شـاهَـدُوا «مَهْران»، وٱنْدَفَعُوا نَحْوَهُ شاهِرينَ سُيُوفَهُمْ، فَصاحَ «مَهْـران» فِي أَصْدِقائِهِ يَطْلُبُ مِنْهُمْ الاخْتِفاء. وَعَلَى الفَوْرِ أَسْرَعَ الكَلْبُ والقِرْدُ والدُّبَّةُ هارِبينَ، أمّا البَبْغاءُ فَطارَتْ عَـالِياً مُبْتَعِـدَةً وهِيَ تَصيحُ فِي فَزَعٍ.

إنقَضَّ القَراصِنَةُ عَلَى «مَهْـران» فَقَبَضُوا عَلَيْـه وقَيَّدُوا يَـدَيْهِ وقَـدَمَيْهِ، وٱقْتـادُوهُ إِلَى القُرْصـانِ «سَعْـدان». وعِنْـدَمـا شـاهَـدَهُ القُرْصانُ هَتَفَ فِي غَيْظٍ: «إِرْبِطُوا هَذَا الفَتَى مِنْ كَتِفَيْهِ فِي أَعْلَى شَجَـرَةٍ بِٱلقَـرْيَةِ، حَتَّى تَشْـوِيَهُ الشَّمْسُ وتَنْقُـرَهُ الغُرْبـانُ.. وَقِفُوا لِحِراسَتِهِ حَتَّى تَضْمَنُوا ألّا يَصْعَدَ مَخْلُوقٌ لِمُساعَدَتِهِ.. ولا تُنْزِلُوه مِن مَكانِهِ إلّا بَعْدَ مَوْتِهِ لِيَكُونَ عِبْرَةً لِغَيْرِهِ».

أَسْرَعَ القَراصِنَـةُ فَرَبَـطُوا قَدَمَيْ «مَهْـران»، ثُمّ عَلَّقُوهُ فَـوْقَ أَعْلَى شَجَرَةٍ، وقَدْ تَدَلَّى رَأْسُهُ إِلَى أَسْفَل، وبَقِيَ هَكَذا مَنْكُوساً، لِتَشْوِيَهُ الشَّمْسُ وتَنْقُرَهُ الغُرْبـانُ، وَوَقَفُوا لِحِـراسَتِهِ حَتَّى لا يُنْقِـذَهُ إِنْسانٌ مِن مَصِيرِهِ المَحْتُوم.

* * *
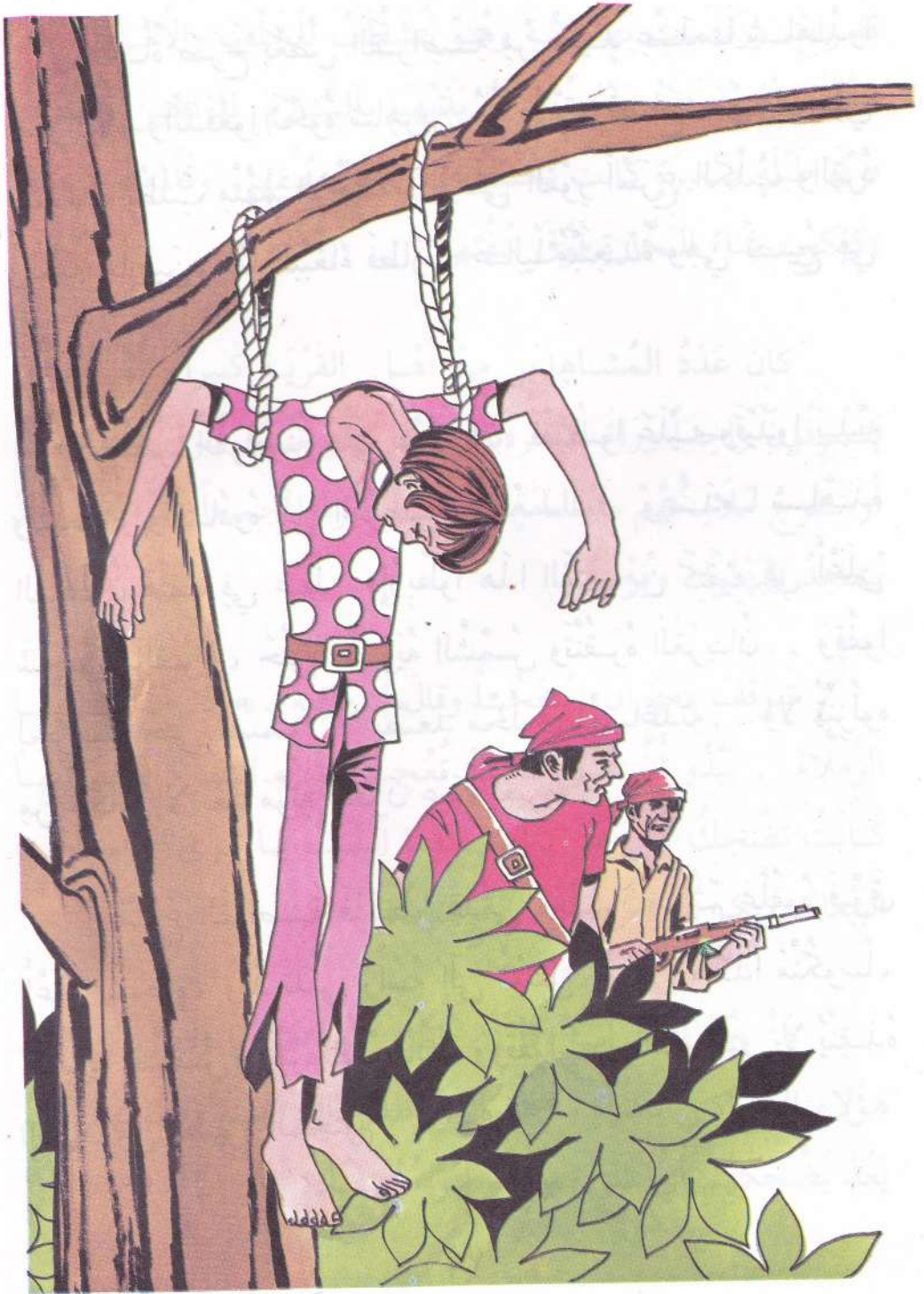
شـاهَدَتِ البَبْغـاءُ «كِيكي» ما حَـدَثَ لِصـاحِبِهـا البَهْلَوانِ، وفِي لَحَظاتٍ إسْتَدْعَتْ بَقِيّـةَ رِفاقِهـا، فَتَسَلَّلُوا مُقْتَرِبِينَ بِـدُونِ أن يَراهُمُ القَراصِنَـةُ الَّذِينَ وَقَفُـوا عَلَى حِراسَـةِ «مَهْران»، وشـاهَدُوهُ مُعَلَّقاً مِنْ كَتِفَيْهِ فِي فَرْعِ شَجَرَةٍ عالِيَةٍ.

تَشاوَرَتِ الحَيَواناتُ الثّلاثَـةُ والبَبْغاءُ فِيمـا تَفْعَلُهُ، وٱنْتَظَرُوا إلَى أنْ حَلَّ الظّلامُ وسَادَتِ العَتْمَةُ المَكانَ، وقَفَزَ القِرْدُ «سِيسي» مِنْ شَجَرَةٍ إلَى أُخْرَى بِدُونِ أنْ يُلاحِـظَهُ القَراصِنَـةُ، حَتَّى ٱسْتَقَرَّ بَعْدَ قَفْزَةٍ ماهِرَةٍ فَوْقَ شَجَرَةِ «مَهْـران»، وٱنْتَظَرَ مـا سَتَفْعَلَهُ البَبْغاءُ «كِيكي» لِتَنْفيذِ بَقِيَّةِ الخُطَّةِ الَّتِي ٱتّفَقُوا عَلَيْها.

وبَعْـدَ لَحَظاتٍ صَـرَخَتِ البَبْغاءُ «كِيكي» بِصَـوْتٍ عالٍ فِي القَـراصِنَةِ مُسْتَتِـرَةً بِٱلـظَّلام: «الأَعْداءُ يُهـاجِمُونَ مِنَ البَحْـرِ.. أَسْرِعُوا لِمُقاتَلَةِ الأَعْداءِ أَيُّها الرِّفاق».

وعَلَى الفَوْرِ انْدَفَعَ القَراصِنَةُ شاهِرِينَ سُيُوفَهُمْ وهُمْ يَعْدُونَ تِجـاهَ البَحْرِ، وقَـدْ ظَنُّوا أنَّ أَحَـدَ زُملائِهِمْ يُحَـذِّرَهُمْ مِن هُجُـومِ الأَعْداءِ عَلَيْهِم.

وفِي الحَالِ أَسْرَعَ القِرْدُ «سِيسي» بِحَلِّ الحِبالِ الَّتِي تَرْبِطُ كَتِفَيْ صاحِبِهِ «مَهْران»، فَسَقَطَ بَيْنَ ذِراعَيْ الدُّبَّةِ «فِيفي»، فَحَمَلَتْهُ فَوْقَ كَتِفِها، وأَسْرَعَتْ بِهِ هارِبَةً، وٱخْتَفَى الجَميعُ فِي أَطْرافِ القَرْيةِ بَعيداً عَنْ عُيُونِ القَراصِنَة.

قال «مَهْران» البَهْلَوانُ لِرِفاقِهِ: «لا أَدْرِي كَيْفَ أشْكُرُكُمْ أيُّها الأَصْدِقاءُ الأَوْفِياءُ.. لَقَدْ أَنْقَذْتُمْ حَياتِي لِلمَرَّةِ الثّانِية».

نَبَحَ الكَلْبُ «مِيمي» كأنَّهُ يَقُولُ إنَّهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا إلاَّ الوَاجِبَ تِجاهَ صَدِيقِهِمْ ووَلِيِّ نِعْمَتِهِم.

وقالَ «مَهْران» مُفَكِّراً: «لَا يَجِبُ أَنْ نَتَخَلَّى عَنْ سُكّانِ هَذِهِ القَرْيَةِ الطَّيِّبِينَ.. وعَلَيْنا بِمُساعَدَتِهِم».

تَساءَلَتِ البَبْغاءُ «كِيكي» بِصَوْتٍ حادٍّ: «كَيفَ.. كَيْفَ؟»

قالَ «مَهْران»: «إنّنا لا نَسْتَطِيعُ أنْ نُحارِبَ القَراصِنَةَ ونَهْزِمَهُمْ لأنَّهُمْ أكْثَرُ عُدَّةً وعَدداً.. وكُلُّ ما يُمْكِنُنا أنْ نُقَدِّمَهُ لأَهْلِ القَرْيَةِ الطَّيِّبينَ هُوَ أنْ نُحاوِلَ التَّخْفِيفَ عَنْهُمْ وإضْحاكَهُمْ مَرَّةً أُخْرَى، لَعَلَّ ذَلِكَ يُبَدِّدُ شَيْئاً مِنْ بُؤْسِهِمْ وحُزْنِهِمْ، ويَجِبُ أنْ نَكُونَ حَذِرِينَ هَذِهِ المَرَّةَ، لِئَلا يُمْسِكَ بِي القَراصِنَةُ مَرَّةً أُخْرَى».

وفِي الصَّباحِ التَّالِي تَجَمّعَ «مَهْران» ورِفاقُهُ مِن الحَيَواناتِ عَلَى مَشارِفِ القَرْيَةِ، حَيْثُ خَرَجَ سُكّانُها ذاهِبينَ إلَى أعْمالِهِمْ، أمّا البَبْغاءُ «كِيكي» فَحَلَّقَتْ عالِياً تَسْتَطْلِعُ مَجِيءَ القَراصِنَةِ، لِتَحْذيرِ «مَهْران» البَهْلَوانِ قَبْلَ وُصُولِهِمْ إلَيْهِ فَيُسْرِعَ بِالهَرَبِ والاخْتِفاء. وكانَ «مَهْران» ورِفاقُهُ مِنَ الحَيَواناتِ قَدْ أعَدُّوا عُدَّتَهُمْ لِتَقْدِيمِ عُرُوضِهِمْ، فَصَبَغَ «مَهْران» وَجْهَهُ بِاللَّونِ الأحْمَرِ وأنْفَهُ بِاللَّونِ الأصْفَرِ، وأخَذَ يَقُومُ بِحَرَكاتٍ مُضْحِكَةٍ لإمْتاعِ مُشاهِدِيهِ مِنْ أهْلِ القَرْيَةِ الطَّيِّبينَ. وقَفَزَ القِرْدُ «سِيسي» إلَى الأمامِ والخَلْفِ، وسارَ عَلَى يَدَيْهِ ثُمّ عَلَى قَدَمَيْهِ بِطَرِيقَةٍ عَجِيبَةٍ مُدْهِشَةٍ، ورَقَصَتِ الدُّبّةُ «فِيفي» وهِيَ تَحْجِلُ بِقَدَمٍ واحِدَةٍ بِطَرِيقَةٍ رَشيقَةٍ. والكَلْبُ «مِيمي» يَقْفِزُ فَوْقَها قَفَزاتٍ بارِعَةً كأنّهُ بَرْغُوثٌ ماهِرٌ فِي القَفْزِ، ثُمّ يَعُودُ لِيَقْفِزَ داخِلَ حَلْقَةٍ بِداخِلِها النَّارُ، أشْعَلَها القِرْدُ «سِيسي»، بِدُونِ أنْ تَمَسَّهُ النِيرانُ بِأذًى.

كانَ العَرْضُ مُمْتِعاً، وبَذَلَ «مَهْران» ورِفاقُهُ جُهْداً كَبِيراً فِي أدائِهِ، ولَكِنَّ المُشاهِدِينَ مِنْ أهْلِ القَرْيَةِ لَمْ يَضْحَكُوا، أو حَتّي يَبْتَسِموا وهُمْ يُشاهِدُونَ ما يُقَدَّمُ لَهُمْ. فَقَدْ كانَتْ أحْزانُهُمْ وآلامُهُمْ لا مَزيدَ عَلَيْها، فانْصَرفُوا فِي صَمْتٍ ووُجُومٍ، بِدُونِ أنْ

يُسَلّيَهُمْ ما يُشاهِدُونَ أو يُخَفِّفَ عَنْهُمْ. . حَتَّى لَمْ يَعُدْ هُناكَ أَحَدٌ يُشاهِدُ البَهْلَوانَ «مَهْران» ورِفاقَهُ، فَتَوَقَّفُوا عَنْ تَقْدِيمِ أَلْعابِهِمْ حَزِينِينَ، وأَطْرَقُوا بِرُؤوسِهِمْ صامِتِينَ.

أمّا البَبْغاءُ «كِيكي»، فَقَدِ ٱنْشَغَلَتْ بِمُطارَدَةِ فَراشَةٍ صَغِيرَةٍ ومُدَاعَبَتِها، فَلَمْ تُتِحْ لَها مُشاهَدَةُ القَراصِنَةِ وهُمْ يَقْتَرِبُونَ باحِثِينَ عَنْ رَفِيقِها البَهْلَوانِ، ولَمْ تَفْطِنْ إِلَى الخَطَرِ المُحدِقِ بِصَدِيقِها، إلَّا بَعْدَ أنْ ضاعَتْ فائِدَةُ أيِّ تَحْذِيرٍ، وصَرَخَتْ «كِيكي» تُحَذِّرُ «مَهْران». فأَسْرَعَ الكَلْبُ والقِرْدُ والدُّبُّ هارِبِينَ، ولَمْ يُتِحْ «لِمَهْران» أنْ يَفْعَلَ مِثْلَهُمْ، فَما كانَ لَهُ مِثْلُ سُرْعَتِهِمْ. وٱنْدَفَعَ القَراصِنَةُ نَحْوَ «مَهْران» وأَلْقَوْا القَبْضَ عَلَيْهِ، وٱقْتادُوه إِلَى زَعِيمِهِمُ القُرْصانِ «سَعْدان»، وهُمْ يَسْخَرُونَ مِن وَجْهِهِ المُلَوَّنِ بِٱلأَلْوانِ والأَصْباغ.

وعِنْدَما شاهَدَ القُرْصانُ «سَعْدان» البَهْلَوانَ «مَهْران» أَصابَهُ غَيْظٌ شَدِيدٌ وقالَ لَهُ: «لا أَدْرِي كَيْفَ تَهْرُبُ مِنّا فِي كُلِّ مَرَّةٍ وتَنْجُو بِنَفْسِكَ، ولَكِنْ هَذِهِ المَرَّة، سَوْفَ تَكُونُ الأَخِيرَةَ ولَنْ تَسْتَطِيعَ النّجاةَ أَبَداً».

وصاحَ فِي رِجالِهِ: «ارْبُطُوا يَدَيْ وقَدَمَيْ هَذا الفَتَى المُشاغِبِ، وألْقُوهُ فِي البَحْرِ لِيَمُوتَ غرقاً».

فأَسْرَعَ القَراصِنَةُ يُنَفِّذُونَ أَمْرَ زَعيمِهِمْ، فَقَيَّدُوا ذِراعَيْ وقَدَمَيْ «مَهْرانَ»، وحَمَلُوهُ فِي أَحَدِ زوارِقِهِمْ، وجَدَّفُوا بِهِ إِلَى قَلْبِ البَحْرِ، ثُمّ أَسْقَطُوه مُقَيَّداً فِي جَوْفِ الماءِ.. وبَعْدَها جَدَّفُوا عائِدِينَ إِلَى الشَّاطِئِ وهُمْ مَسْرُورُونَ لإغْراقِ «مَهران» البَهْلَوانِ.

* * *

كانَ أَصْدِقاءُ «مَهْران» مِنَ الحَيَواناتِ والطُّيُورِ واقِفِينَ يُشاهِدُونَ ما يَجْرِي عَنْ بُعْدٍ، وعِنْدَما شاهَدُوا القَراصِنَةَ وهُمْ يَحْمِلُونَ صَديقَهُمْ البَهْلَوانَ لإلْقائِهِ مُقَيّداً فِي البَحْرِ، أَسْرَعَ الكَلْبُ «مِيمي» سابِحاً فِي شجاعَةٍ خَلْفَ زَوْرَقِ القَراصِنَةِ محاذِراً ألّا يَلْمَحُوهُ. وعِنْدَما أَلْقَوا بِمَهْران فِي قَلْبِ الماءِ إِنْدَفَعَ الكَلْبُ بِشَجاعَةٍ يَحِلُّ قُيُودَ صَديقِهِ بِأَسْنانِهِ، فَصارَ «مَهْران» حُرًّا طَليقاً، قَبْلَ أنْ يَغْرَقَ، وسَبَحَ حَتَّى الشَّاطِئِ ومَعَهُ الكَلْبُ «مِيمي»، وٱسْتَقْبَلَهُما بَقِيَّةُ رِفاقِهِما بِصَخَبٍ وسُرُورٍ لا مَثِيلَ لَهُما، فَرِحِينَ بِعَوْدَةِ «مَهْران» سالِماً.

وصَرَخَتِ البَبْغاءُ «كِيكي»: «دَعُونا نَرْحَل.. نَرْحَل.. هَذَا المَكانُ خَطِرٌ.. خَطِرٌ.. القَراصِنَةُ مُتوحِّشُون.. مُتوحِّشُون..».

ولَكِنَّ «مَهْران» رَفَضَ رَأْيَ البَبْغاءِ وقالَ: «لا يا «كِيكي».. بَلْ يَجِبُ أنْ نَبْقَى لِمُساعَدَةِ أَهْلِ القَرْيَةِ الطَّيِّبين المَساكِينِ، وإذا كُنّا لا نَمْلِكُ القُوّةَ لِنُحارِبَ بِها هَؤُلاءِ القَراصِنَةَ المُتَوحشينَ، فَيَجِبُ أنْ نَلْجَأَ إِلَى المُحايَلَةِ، ولَدَيّ حِيلَةٌ أرْجُو أنْ تَنْجَحَ فِي خِداعِ القَراصِنَةِ وهَزيمَتِهِم».

وأَسَرَّ «مَهْران» بِخُطَّتِهِ إِلَى رِفاقِهِ، فَهَزُّوا رُؤُوسَهُمْ فِي إعْجابٍ مُوافِقينَ. وكانَتِ الخُطَّةُ تَتَطَلَّبُ أنْ يَتسلَّلَ القِرْدُ «سِيسي» إِلَى حُجْرَةِ القُرْصانِ «سَعْدان» حَيْثُ يَحْتَفِظُ بِكَنْزٍ مِنَ المُجَوْهراتِ واللآلِئِ والزُّمُردِ والياقُوتِ، ويَأْتي بِبَعْضِها بِدُونِ أنْ يَراهُ أَحَدٌ مِنْ حُراسِها.

وبِالفِعْلِ تَمَكَّنَ القِرْدُ الذَّكِيُّ مِنَ التَّسلُّلِ إِلَى الحُجْرَةِ عَبْرَ نافِذَتِها العالِيَةِ، واسْتَولَى عَلَى ما بِها مِن مُجَوْهراتٍ عادَ بِها إِلَى «مَهْران»، وفِي الحالِ نَهَضَ «مَهْران» البَهْلَوانُ واتَّجهَ إِلَى مَكانِ زَعيمِ القَراصِنَةِ «سَعْدان» لِتَنْفيذِ بَقِيَّةِ خُطَّتِهِ.

وعِنْدَما شاهَدَ القُرْصانُ «سَعْدان» البَهْلَوانَ «مَهْران» واقِفاً أَمامَهُ، حَيًّا مُعافًى، أَصابَهُ ذُهُولٌ عَظِيمٌ، وكفَّ عَنِ ٱلْتِهامِ ما أَمامَهُ مِنْ طَعامٍ، وٱنْتَفَضَ فَزِعاً، فٱهْتَزَّ كِرْشُهُ وتَرَجْرَجَ لَحْمُهُ، وقالَ لِمَهْران غَيْرَ مُصَدِّقٍ: «كَيْفَ نَجَوْتَ مِنَ الغَرَقِ أيُّها الفَتَى؟».

رَدَّ «مَهْرانُ» باسِماً: «لَقَدْ أنْقَذَتْنِي مَلِكَةُ البَحْرِ».

قالَ القُرْصانُ مُنْدَهِشاً: «أَتَقُولُ: مَلِكَةُ البَحْرِ. . إنَّنِي لَمْ أَسْمَع أَبَداً أنَّ البَحْرَ لَهُ مَلِكَةٌ».

قالَ مَهْرانُ: «إنَّها صَدِيقَتي، وهِيَ دائِماً تُنْقِذُني مِنَ المَآزِقِ، فَقَدْ أَخْرَجَتْني مِنَ الزِنْزانَةِ الَّتي حَبَسْتُمُوني فِيها، وحَرَّرَتْنِي مِنْ قُيُودِي عِنْدَما رَبَطْتُمُوني فِي الشَّجَرَةِ، وأَنْقَذَتْنِي مِنَ الغَرَقِ بَعْدَ أنْ ألْقَيْتُمُوني فِي اليَمِّ، ثُمّ ٱصْطَحَبَتْني فِي جَوْلَةٍ داخِلَ مَمْلَكَتِها الوَاسِعَةِ قَبْلَ أنْ تُعيدَني سَالِماً إلَى الشَّاطِئ».

تَساءَلَ القُرْصانُ «سَعْدان» مُنْدَهِشاً: «أَتَقُولُ: مَمْلَكَتَها الواسِعَةَ. . لا بُدّ أنّها تَحْتَوِي عَلَى لآلِئَ وجَواهِرَ كَثيرةٍ؟».

رَدَّ «مَهْـران»: «أكْثَر مِمّـا تَتخَيّـلُ أيُّهـا القُـرْصـانُ. . فـإِنّ لِجُدْرانِ مَمْلَكتِها حَوائِطَ مِنَ الذَّهَبِ وأَعْمِدةً مِنَ العاجِ والفضَّةِ، وثُرَيّاتٍ مِنَ المَاسِ واليَاقُوتِ والمُرْجانِ، وأَما اللُّؤْلُؤُ فَـلاَ قِيمَةَ لَـهُ هُنـاكَ لِكَثْرَتِـهِ، حَتَّى أَنَّ الأَطْفالَ يَلْعَبُـونَ بِهِ فِي قَلْبِ المـاءِ كَما يَلْعَبُ الأَطْفالُ بِٱلحَصَى عَلَى الأَرْض».

وأَخْرَجَ مِن جَيْبِهِ المُجَوْهراتِ الَّتي سَـرَقَها القِـرْدُ «سِيسي» مِن حُجْرَةِ القُرْصانِ، وقالَ لَهُ: «أُنْظُر أَيُّها القُرْصانُ. . هَذا جـزْءٌ عَلَى أَلْفِ أَلْفٍ مِمَّـا تَحْتَـوِي عَلَيْـهِ مَمْلَكـةُ مَلِكَـةِ البَحْـرِ مِنْ مُجَوْهَراتٍ ونَفائِسَ، وقَدْ أَتَيْتُ مِنْ عِنْدها بِما مَلأَ جُيُوبي فَقَط».

حَـدَّقَ القُـرْصـانُ فِي المُجَـوْهـراتِ بِعَينـهِ السَّلِيمـةِ الَّتي ٱمْتَـلأَتْ بِـٱلنَّهمِ والجَشَـعِ بـدُون أَنْ يُـدْرِكَ أَنّهـا مِنْ ضِمْنِ مُجَـوْهـراتِـهِ لِشِـدَّةِ جَشَعـهِ وطَمَعِـهِ. وٱخْتَـطَفَ مِنْ «مَهْـران» المُجَوْهَراتِ وتأَمَّلَها وهُوَ يَقُولُ ذاهِـلاً: «إِنّها مُجَـوْهراتٌ حَقيقيَّـةٌ تَساوِي الكَثيرَ الكثِير».

وتَهَدَّجَتْ أنْفاسُهُ وسَأَلَ «مَهْران»: «وهَلْ هِيَ جَميلَةٌ مَلِكَـةُ البَحْرِ؟».

رَدَّ «مَهْران»: «إنَّها أَجْمَلُ مِمّا يَتَصوّرُ أيُّ إِنْسانٍ، فَعَيْناها كالزُّمُردِ الأَخْضَرِ، وشَعرُها كسُبُوكِ الذَّهبِ، وبَشْرَتُها بِلَوْنِ العَسَلِ المُصَفَّى، ويَداها بِرِقَّةِ نَدَى الفَجْرِ، وأَنْفاسُها مُعَطَّرةٌ مُسْكِرَةٌ كَرائِحَةِ المِسْكِ، وفِي الحَقيقَةِ أَنَّ مَلِكةَ البَحْرِ قَدْ طَلَبَتْ مِنّي أنْ أَبْقَى مَعَها وأَتَزَوَجَها، لأتَمتّعَ بِكُلِّ هَذِهِ الكُنُوزِ فَرَفَضْتُ، لِأَنَّني أَرْغَبُ فِي العَوْدةِ إِلَى قَرْيَتي والزَّواجِ مِنَ ٱبْنَةِ عَمِّي الَّتي أُحبُّها».

صاحَ القُرْصانُ «سَعْدان» بِصَوْتِهِ الغَليظِ الخَشِنِ قائِلاً: «أَنْتَ غَبِيٌّ.. غَبِيٌّ.. كَيْفَ يُمْكِنُ لإِنْسانٍ أنْ يَرفُضَ كُلَّ هَذِهِ الثَّرْوَةِ العَظيمَةِ.. لَيْتَنِي كُنْتُ مَكانَكَ لَتَزَوَجْتُ مَلِكَةَ البَحْرِ وصِرْتُ مَلِكاً عَلَى مَمْلَكَتِها.. ولَكِنْ كَيْفَ السَّبيلُ إِلَى ذَلِكَ ومَلِكَةُ البَحْرِ تُحِبُّكَ أَنْتَ لا أنا؟».

رَدَّ «مَهْران»: «هَذا سَهْلٌ يا سَيِّدي القُرْصانُ، فَبَعْدَ أنْ رَفَضْتُ عَرْضَ مَلِكَةِ البَحْرِ بِزواجِي مِنْها، قَرَّرتْ أن تَتَزوَّجَ أَوّلَ إِنْسانٍ يَهْبِطُ إِلَى قَلْبِ الماءِ، عِنْدَما يَكْتَمِلُ القَمَرُ فَتُنَجِّيهِ مِنَ الغَرَقِ وتَتَزوّجُهُ».

صَرَخَ القُرْصانُ «سَعْدان» بِنَشْـوةٍ وسُرُورٍ: «هَـذا عَظِيمٌ. . عَظِيمٌ. . يا لَهُ مِنْ حَظٍّ حَسَنٍ، فَسَوْفَ يَكْتَمِلُ القَمَرُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ، وسَوْفَ أَهْبِطُ إِلَيْها لِتَتزوّجَني، وعِنْدَها أَصِيرُ مَلِكَ البَحْر».

ثُمْ هَمَسَ فِي أُذُنِ مُساعِدِهِ «عَدْنان» قائِلًا: «سَـوْفَ أَتَزوَّجُ مَلِكَـةَ البَحْـرِ هَـذِهِ اللَّيْلَةَ، ثُمَّ أَقْتلُهـا وأَسْتَـولِي عَلَى جَـواهِـرِهـا ولآلِئِهـا، وأَعُـودُ بِهـا إِلَيْكُم، فَنَصيـرُ أَغْنَى الأَغْنيـاءِ عَلَى وَجْـهِ الأَرْضِ. ولَكِنْ لا تُخْبِرُوا هَذَا الفَتَى البَهْلَوانَ بِشَيءٍ عَنْ ذَلِـكَ، لِئَـلا يَـذْهَبَ ويُحَـذِّرَ مَلِكَـةَ البَحْــرِ فَتَحْتـاطَ لي ولا تُمكِّنني مِنْ قَتْلها».

وقَضَى القَـراصِنَةُ بَقِيَّـةَ اليَوْمِ فِي سُـرُورٍ ورَقْصٍ وراحُـوا يأْكُلُونَ ويَشْرَبُونَ سُعَداءَ، وهُمْ يُمَنُّـونَ أَنْفسَهُمْ بِٱلثَّـرْوةِ المُنْتَظَرَةِ الَّتِي سَيَعُودُ بِهَا زَعِيمُهُم القُرْصانُ «سَعْدان»، بَعْدَ أَنْ يَقْتُـلَ مَلِكَةَ البَحْرِ ويَسْتَوِلِيَ عَلَى جَوَاهِرَ ولآلِئَ مَملكتِها.

* * *

وفِي اللَّيْـلِ عِنْـدَمـا ٱكْتَمَـلَ القَمَـرُ فِي السَّمـاءِ، أَسْــرَعَ القَـراصِنَةُ وزَعِيمهُم «سَعْـدان»، ومَعَهُم الفَتَى «مَهْـران» بِصُعُـودِ

سَفينَةِ القَراصِنَةِ، وأَقْلَعُوا بِهـا إِلَى قَلْبِ البَحْرِ، وَوَقَفَ القُـرْصانُ «سَعْدان» يَسْتَعِدُّ لإِلْقـاءِ نَفْسِهِ فِي المـاءِ، بَعْدَ أنْ تَسَلَّحَ بِخَنْجَـرٍ مَسْمُومٍ أَخْفاهُ تَحْتَ مَلابِسِهِ لِقَتْلِ مَلِكَةِ البَحْر.

ولَكِنّ «مَهْـران» آعْتَـرضَـهُ وقـالَ لَـهُ: «يَجِبُ أنْ تَهْبِطَ إِلَى البَحْرِ وأنْتَ مُقَيَّدٌ يا سَيِّدي القُـرْصانُ حَتَّى تُنْقِـذَكَ مَلِكَةُ البَحْـرِ، فَهِيَ لا يُمْكِنُ أنْ تَتزَوَّجَ إلاّ مِمّنْ تُنْقِذُهُ مِنَ الغَرَق».

فَـرَكَ القُرْصـانُ «سَعْـدانُ» يَـدَيْـهِ سُـرُوراً وقـالَ: «لَسَـوْفَ تَعْشَقُني مَلِكَةُ البَحْرِ الجَميلَةُ حالَما تَراني، هَيَّا يـا رِجالي قَيِّـدُوا ساقَيَّ ويَدَيَّ ولَسَوْفَ أعُودُ إِلَيْكُمْ قَبْلَ ظُهُورِ الفَجْر».

فأَسْرَعَ القَراصِنَةُ يُقَيّدُونَ زَعيمَهُمْ، ثُمّ حَمَلُوهُ فَوْقَ أَيْـدِيهِمْ وأَلْقُـوهُ فِي اليَمِّ، وشاهَـدُوهُ وهُوَ يَغُـوصُ لِأَسْفَلَ ولا يَبينُ لَـهُ أَثَرٌ بَعْدَها.

وقالَ القُرْصانُ «عَدْنان» مُساعِدُ الزَّعِيمِ «سَعْـدان»: «الآنَ دَعُونا نَنْتَظِرُ عَوْدَةَ زَعِيمِنا ومَعَهُ المُجَوْهَراتُ والذهَب».

وبَقوا يَنْتَظِرُونَ ساعاتٍ طَويلةٍ حَتَّى أَوْشَكَ الفَجْرُ أنْ يَطْلَعَ بَدُونِ أن يَبينَ أيُّ أَثَرٍ لِلقُرْصانِ «سَعْدان»، حَتَّى بَدأَ القَلَقُ يَتَسَلَّلُ

إِلَى نُفُوسِ القَراصِنَةِ . . وأَخَذُوا يَنْظُرونَ إِلَى مَهْران بِشَكٍّ وَرَيْبَةٍ أنْ يَكُونَ قَدْ خَدَعَهُمْ .

وفَجْأَةً تَعالَى صَوْتٌ شَبِيهٌ بِصَوْتِ القُرْصانِ «سَعْدان» الغَليظِ الخَشِنِ وهُوَ يَقُولُ: «ساعِدُونِي يا رِجالُ . . إنَّ اللآلِئَ والمُجَوهَراتِ هُنَا أَكْثَرُ مِنْ أنْ أَحْمِلَها وَحْدِي . . إِقْفِزُوا فِي المَاءِ لِمُساعَدَتي لِلْعَوْدَةِ بِها كُلِّها» .

صاحَ القُرْصانُ ذُو العَيْنِ الزُّجاجِيّةِ: «إنَّهُ صَوْتُ زَعيمِنا القُرْصانِ «سَعْدان» . . إنّه بِحاجَةٍ إِلَى مُساعَدتِنا لِحَمْلِ كُنُوزِ المَلِكَةِ وإِخْراجِها مِن قَلْبِ الماء» .

وكَادَ يَقْفِزُ فِي الماءِ فأَوْقَفَهُ «مَهْران» قائِلاً: «يَجِبُ أنْ تُقَيِّدَ يَدَيْكَ وذِراعَيْكَ أولاً حَتَّى تُنْقِذَكَ إِحْدَى جَواري مَلِكَةِ البَحْرِ وتَأْخذَكَ إِلَى مَمْلَكَتِها فَتَلْحَقَ بِالقُرْصانِ «سَعْدان»» .

أَوْمأَ القُرْصانُ بِرَأْسِهِ مُبْتَهِجاً، وأَسْرَعَ القَراصِنَةُ جَميعُهُمْ يُقَيِّدُونَ أَذْرِعَةَ وأَقْدامَ بَعْضِهِمْ بَعْضاً، وكُلَّما قَيَّدُوا واحِداً مِنْهُمْ أَلْقَوْهُ فِي اليَمِّ لِيَلْحَقَ بِزَعيمِهِمْ. أمّا آخِرُهُمْ فَقَيَّدَهُ «مَهْران» بِنَفْسِهِ ثُمَّ قالَ لَهُ ساخِراً: «هَيّا إِلْحَقْ بِرِفاقِكَ المُتَوَحِّشينَ أيُّها القُرْصانُ

فِي قاعِ البَحْرِ حَيْثُ تَأْكُلُكُم الأَسْماكُ. أَصَدَّقْتُم أَيُّها الأَغْبِياءُ أَن هُناكَ مَلِكَةً لِلبَحْرِ مَمْلَكَتُها مِنَ الذَّهَبِ والماسِ والياقُوتِ.. إنَّ طَمَعَكُمْ وتَوحُّشَكُم أودَى بِكُمْ وقَضَى عَلَيْكُم».

فَزِعَ القُرْصانُ بِشِدَّةٍ، ولَكِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعِ المُقاوَمَةَ بِسَببِ قُيُودِهِ، وأَلْقاهُ «مَهْران» فِي البَحْرِ، وفَرِغَتِ السَّفِينَةُ مِن القَراصِنَة. وفِي الحالِ هَبَطَتِ البَبْغاءُ «كِيكي» وحَطَّتْ عَلَى كَتفِ «مَهْران» سَعِيدَةً بَعْدَ أنْ خَدَعَتِ القَراصِنَةَ وقَلَّدَتْ صَوْتَ زَعيمِهِم القُرْصانِ «سَعْدان» وطَلَبَتْ مِنْهُمْ إلْقاءَ أَنْفُسِهِمْ فِي اليَمِّ لِلحاقِ بِهِ.

وقادَ «مَهْران» سَفينَةَ القَراصِنَةِ عائِداً إِلَى شاطِئِ القَرْيَةِ، فَوَجَدَ فِي ٱسْتِقْبالِهِ بَقِيَّةَ رِفاقِهِ مِنَ الحَيَواناتِ، وكُلَّ سُكّانِ القَرْيَةِ الطَّيِّبِينَ، الَّذِينَ عَلِمُوا بِما حَدَثَ. فأَحاطُوا «بِمَهْران» ورِفاقِهِ، وراحُوا يُقَبِّلُونَهمْ ويَشْكُرونَهُمْ باكِينَ لِما أَسْدُوهُ إلَيْهِمْ مِنْ مَعْرُوفٍ بِتَخْليصِهِمْ مِنَ القَراصِنَةِ وإلْقائِهِمْ فِي البَحْرِ، وطَلَبُوا مِنْ «مَهْران» أنْ يَبْقَى مَعَهُمْ ويَعيشَ وسَطَهُمْ، حَتَّى يَرِدُّوا إِلَيْهِ جُزْءاً مِنْ دَيْنِهِ بَعْدَ أنْ أَعادَ إِلَيهِمْ أَرْضَهُمْ وَمُزْرُوعاتِهِم ومَواشِيَهُمْ وأَمْوالَهُمْ. ولَكِنَّهُ شَكَرَ لَهُمْ وَفاءَهُمْ مُعْتَذِراً، فَهُوَ ورِفاقُهُ

الحَيَـواناتُ البَهْلَوانـاتُ والبَبْغاءُ «كِيكي» لا يُحِبُّـونَ البِقاءَ طَـوِيلاً فِي مَكانٍ واحدٍ.

وأعْطى «مَهْران» سُكّانَ القَرْيَةِ أَسْلِحَةَ القُرْصانِ لَيَحْفَـظوها عِنْدَهُمْ، فَيُدافِعُون بِها عَنْ أَنْفُسِهِمْ إذا حَـاوَلَ الأَشْرارُ والأَعْـداءُ غَزْوَهُمْ مَرَّةً أُخْرَى.

وَكـانَتْ لَحْظةُ الـوداعِ مُؤَثّرةً، فقَـدِ اَصْـطَفَّ كُـلُّ سُكّـانِ القَـرْيَةِ عَلَى الشَّـاطِئِ لِوَداعِ «مَهْـران» البَهْلَوانِ ورِفاقِـهِ، الَّذِينَ اَسْتَقلُّوا سَفينَةَ القَراصِنَةِ، بَعْدَ أَنْ أنْزَلُوا رَايَتَها المَشْؤُومَةَ المَرْسُومُ عَلَيْها الجُمْجُمَةُ والعَظْمَتانِ المُتَقاطِعَتانِ مِنْ فَوْقِ سارِيَتِها.

وأَبْحَرَتْ سَفينَةُ القَـراصِنَةِ، الَّتِي أصْبَحَتْ مُلْـكاً «لِمَهْران» البَهْلَوانِ ورِفاقِهِ. وشَرَعَ القِرْدُ «سِيسي» والدُّبَّةُ «فِيفي» فِي قِيادَتِها بِمَهـارَةٍ بَيْنَ المَـوْجِ لِعُبُـورِ البَحْـرِ إِلَى النَّـاحِيَـةِ الأُخْـرَى، وفِي الـوَقْتِ نَفْسِهِ راحَ سُكّـانُ قَرْيَـةِ الـطَّيِّبين يُلَوِّحُـونَ لَهُمْ بِـأَيْـدِيهِمْ مُـوَدِّعينَ، وقَدْ عـادَ إِلَى قَرْيَتِهِمْ مَـرَّةً أُخْرى، سُكُـونُها وهَـدُوءُها ودِعَتُهـا، بِفَضْـلِ البَهْلَوانِ «مَهْـران» ورِفـاقِـهِ مِنَ الحَيَـوانَــاتِ والطُّيُور.

وتَعَلَّمَ سُكّانُ القَرْيَةِ أنْ يَكُونُـوا حَذِرينَ مَـع الغُرَبـاءِ، وأنْ يَمْتَلِكُوا مِنَ السِّلاحِ والعَتادِ ما يُمَكِّنَهُمْ مِن مُقاوَمةِ مَنْ يُحاوِلُ أنْ يَسْلُبَهُمْ أرْضَهُمْ وخَيْراتِهِمْ فِي المُسْتَقْبلِ، لِأَنّ الطِيبَةَ لَا تُفيدُ مَع الأَشْرارِ والأَعْداء.

* * *

القرصان والبهلوان

أسئلـــة:

١ ـ مَنْ هم القراصنة؟ وما هو عملهم؟

٢ ـ كيف استقبل الأهالي الزوار؟ وما كانت نيَّة القراصنة؟

٣ ـ إلامَ تحولت حياة الأهالي؟ اذكر أهم صفاتهم.

٤ ـ كيف وصل مهران ورفاقه إلى المنطقة وكيف استقبله القراصنة؟

٥ ـ عند تعليق مهران على الشجرة، كيف خلَّصه رفاقه؟

٦ ـ كيف ساعد مهران الأهالي بالتخلص من القراصنة؟ وما هو الدرس الذي أعطاهم إيّاه؟

اشـــرح الكلمات التالية:

تراودهم ـ يحدق ـ يُحاك ـ مُغْتَصِب ـ سياط.

إعـــراب:

ـ تسوقُهُم سِياطُ القراصنةِ.

ـ أَسْرِعوا لمقاتلةِ الأعداءِ أيُّهَا الرفاقُ.

القُرصَان وَالبهلوان

● قَريةٌ صغيرةٌ واقِعةٌ خَلف بحرٍ عظيمٍ ، لا يَدري أهلُها عن الدُّنيا شيئاً. وذات يَوم يأتي البحرُ بقراصنةٍ أشرار، يُسيطرون على القريةِ ويستولون على كلِّ ما فيها لأنفسهم. .

ثمّ يأتي من البحرِ بَهْلوانٌ ضعيفُ القُوَّةِ ولكنه واسعُ الحيلةِ، فيتمكن بدهائِهِ وذكائِهِ من تخليصِ القريةِ من القراصنةِ الظالمين. . وعلَّم أهلَها درساً لا ينسوه، حتى لا يستولِيَ الأشرارُ على خيراتِهم مرةً ثانيةً.

دار الجيل